

قصص تربوية لترويض النفس وبناء الذات/ ج(5)

البلاغ

www.balagh.com

القصة الخامسة عشرة "إن أخذتَ منِّي فقد أبقيتَ لي!!" أُصيب (عمرو بن العلاء) برجله، فاذطرَّ الأطباء إلى قطعها، وقالوا له: إن أردتَ الشفاء فلا بدَّ من البتر. فقال: القولُ ما قالت الأطباء! وقبل إجراء العملية الجراحية، عرضوا عليه مُرقَّداً (أي مُخدَّراً) لكي لا يحسَّ بألم القطع أو البتر. فقال: ما أحبُّ أن أغفلَ عن ذكر الله أبداً!! فنزل الأطباءُ عند رغبته، فبتروها بدون تخدير. وحينما نظر (عمرو) إلى رجله المقطوعة، قال وعينهُ نحوَ السماء: "اللَّهُمَّ إن كنتَ أخذتَ منِّي عضواً، فقد بَقِيَ لي أعضاء!! وما كاد ينتهي من مقالته حتى جاءه مَنْ يُخبره أن ولدهُ سقطَ من أعلى الدارِ فمات! فرفع بصره ثانيةً جهة السماء، وقال: "اللَّهُمَّ إن كنتَ أخذتَ لي إبناً، فقد بَقِيَ لي أبناء، فلك الحمدُ على السراء والضراء!!" - الدروس المُستخلصة: 1- الذي يذوق ويتذوَّق حلاوة ذكر الله، يجدُ أنَّ الحالات كلها لا تُساوي شيئاً قبالتها، لأنَّها حلاوةٌ يتذوَّقها لسانُ القلب، وتنتدِّي بها أزهيرُ المشاعر، فلا الحلاوةُ تنتهي.. ولا الندى يجفُّ. النظرة إلى (الباقى الموجود) دون (الضائع المفقود) نظرةٌ تفاؤليةٌ.. يُعبِّر عنها البعض بالنظر إلى النصف المملآن من الكأس لا النصف الفارغ.. إنَّها نظرةٌ إيمانيةٌ تربويةٌ، فالمُعطي هو نفسه الآخذ، فلماذا الاعتراضُ أو الإحتجاج، وكان بالإمكان أخذُ الكلِّ مرةً واحدةً. 3- المصيبةُ بالنسبة للصابر واحدةٌ، وبالنسبة للجازعُ إثنان، فالمُصابُ يتحمَّل ألم مصيبته أو إصابته فقط، أمَّا الجازع فيُعاني الأمرين: مرارة المصاب والمصيبة،

ومرارة الجزع، فاختر ما شئت. القصة السادسة عشرة "نبدأ من جديدٍ وبلا أخطاء!!" احترقت معامل (أديسون مخترع المصباح الكهربائي، كلَّها دفعةً واحدةً في شهر كانون الأوّل سنة 1914، وليس مهمّاً إن كان الحريق بسببٍ داخلي أو خارجي، المهم أنَّها تحوَّلت إلى رماد! وقد روى (تسالز) بن أديسون نفسه قصّة تلك اللّيلة الرهيبة العصيبة. قال: وقفتُ أمام ألسنة الدخان المتصاعدة، أبحث عن أبي وسطَ الناس المجتمعين ينظرون بأسىٍّ لما حلَّ بمشاريع وإنجازات أبي. إقتربتُ منه، ووقفنا كلانا نتأمّل الذِّيرانَ وهي تلتهمُ ثمرةَ كدِّه وكفاحه، والأسى يُمزّقُ قلوبنا. في صباح اليوم التالي، جننا أنا وأبي وأمِّي، ورحلنا نسير وسط آمال أبي المحترقة.. والذي الذي كان قد جاوز وقتها السابع والسّتين، توقّف فجأةً عن السير، وقال: نعم، إنَّها لكارثة، ولكنَّها لا تخلو من نفع، لقد التهم الحريقُ جهودي كلَّها، ولكنَّه خلَّصني من أخطائي برمّتها. شكراً.. فنحنُ نستطيع الآن أن نبدأ من جديدٍ وبلا أخطاء!! - الدروس المُستخلصة: 1- مواجهة الكارثة بالصبر والتّمسك ليس مجرد علاج نفسي لما حلَّ من خسائر، هو علاجٌ موضوعيٌّ لما لا يمكن علاجه، إذ ما جدوى البكاء على الحليب المُراد أو المُنسكب على الأرض.. دموعُنا لا تسترجعه. 2- إحتراقُ المعامل لا يعني احتراق الفكر أو العقل الذي أنشأها، فما كان بالإمكان صُنعه مرّةً، بالإمكان صُنعه مرّةً أخرى، طالما أنَّ العقل المُدبّرُ موجودٌ. 3- (أن نبدأ من جديد وبدون أخطاء)، ردٌّ عمليٌّ على الكارثة أو الذّكبة، فالذي يؤسّس لمعامل جديدة، سبقَ أن أقامَ مثلها، سيستفيد حتماً من أخطاء وتجربة الأمس ليتفادها في تجربة اليوم، وهذا أفضل ألف مرّة من القول: لا جدوى، لقد ضاعَ كلُّ شيء. وقديماً قيل: "رُبَّ صارّةٍ نافعة". وهذا ما عبّر عنه (أديسون) نفسه بالقول: "إنَّها لكارثة ولكنَّها لا تخلو من نفع". ولذلك شكرَ الله عليها. 4- لقد فتّش (أديسون) بين الرّماد الذي خلَّفه حريقُ المعامل، ليجد بقيّةً من شيء ينتفع به، فوجد بارقة الأمل ونفحة الطموح، وإمكانية الأفضل، فهل نجد في رمادنا شيئاً نافعاً؟!